

ولترسم خيطا دمويا يقود الى البدايات الحقيقية .
تتوتر علاقة سعيد برؤسائه يعقوب والرجل القصير
القامة . فيجلس على خازوق لا يستطيع النزول
عنه الا مناضلا . يرفع البطل علما ابيض عندما
يسمع المذبح يدعو العرب الى رفع الاعلام البيضاء
بعد حرب حزيران . فيتهم بأنه لا يعترف بسيادة
اسرائيل على حيفا ويقاد من سجن الى آخر .
هنا تعود الرواية الى التوتر حين يلتقي في سجن
شقة الرهيب بغدادي يحمل اسم سعيد مثله ،
يلقي عليه بشكل غير مباشر درسا في الوطنية
والنضال ، ثم يلتقي بشكل مفاجيء يعاد الثانية
شقيقة هذا الفدائي التي أتت تبحث عن شقيقتها .
بعد ذلك يذهبان الى قرية السلكة — حيث نتعرف
على مآسي التطويق ومآسي العمل في الكيبوتس
والوجود غير الشرعي . لتنتهي الرواية بعودة
سعيد ويعاد الى حيفا حيث تطرد كما طردت يعاد
الاولى ، بعد أن شكلت مؤشرا نضاليا جديدا .
وتتوي الرواية باعترافات من المؤلف بأن هذه
الرواية هي رسائل وصلته من مجنون في مستشفى
عكا للأمراض العقلية .

١ — **الراوي** : الراوي هنا ليس المؤلف كما في
سداسية الأيام الستة . لكنه البطل نفسه . لذلك
تنساب الرواية بلغة المخاطبة التي تسمح بمسرحة
هذا العمل . ولكن الرواية على لسان البطل ، لا
تعني اندماجية درامية . فحبيبي يحافظ على خطه
« البرشقي » لكنه يستميض عن تدخله بالعلاقات ،
وباستغلال أوسع لجميع امكانيات شخصية البطل .
فتبقى المسافة العقلية قائمة ، وتسمح بالاستدلال .
خلف شخصية البطل — الراوي ، وتداعياته
وعلاقاته ، تقع المسألة الاساسية التي تطرحها هذه
الرواية ، **البنية الاستدلالية** التي تؤطر علاقات
واسعة ، تفتتها لتعيد تركيبها من جديد ، من خلال
البطل — المرأة .

٢ — **الجناس** : يلعب الجناس دورا هاما ، فهو
يبسط اللغة ، ويقيم لها ايقاعات موسيقية ،
تتحاشى الابتذال بتحاشيها للسجع . « فعاد معلمي
وانكأ حيث كنت متكئا على المزولة وقد زاولني
التلق » . وقد تصل الامور الى حد استتباط كلمات
جديدة : « استترغني الفراغ » ، رغم انها تأتي
هنا مقطعة . لكنها تصل في أماكن أخرى العديد من
الدلالات ، لانها تلخص سلسلة احداث مأساوية ،
بلفظة واحدة ، « قرية برطعمة » ، في المثلث ،
مقطعة » .

٣ — **التكرار** : التكرار هو ميزة كل قصة
شعبية ، لانه يقيم من جهة أولى ايقاعا خاصا رثيبا
ومألوما ، فيترسب في ذاكرة السامع او القارئ ،
ويقدم اشارات تصل مداليل مختلفة لا تتحد الا في
السياق : « فلما نزلت عن الحمار ، رايتني أطول
من الحاكم العسكري ، فاطمأنت نفسي حين وجدفتني
أطول منه بدون قوائم الحمار » . هنا تأتي الفكاهة
لنظفي عجزا من جهة ولتؤشر الى امكانية مستقبلية
من الجهة الثانية . او قد تحمل معنى مأساويا
مباشرا : « جاءت النهاية حين استيعظت في ليلة
بلا نهاية » .

٤ — **الكلمات العامية** : يجري داخل هذا
السياق ، استخدام كلمات عامية ، تختصر حركة
كاملة : « هذا يهش وذاك يكش » . أو تسترجم

في الكتاب الثالث ، يمتد الاحساس الشعبي دون
انسياب ، فهو موقع حول موضوعة مركزية :
استحالة استمرار علاقة سعيد بالاجهزة
الاسرائيلية . ترسم هذه الاستحالة خطها البياني
عبر تبسيط لشخصية البطل — حيث يبدو كرجل
لا حول له بشكل كامل — وتعقيد العلاقات التي
تدفعه الى بداية فصح علاقته هذه . لكن الخط
الاساسي ، خط الانسياب من خلال التداعي ، يبقى
الهيكل الاساسي لبنية الرواية ، حتى يقوم المؤلف
بتدخله الذي يوقف الانسياب ويقودنا الى نقطة
البداية . ان النقطة التي يجب الاشارة اليها هنا ،
هي التركيز حول مسائل الحياة اليومية ، التي
تأخذ حجمها الكبير من خلال شبكة العلاقات
والتداعيات التي ترسمها الرواية بعناية .

الإيقاع الروائي الجديد . في توسطها بين السيرة
والحكاية الشعبية ، ترسم رواية اميل حبيبي خطا
بيانيا جديدا ، يعتمد أساسا على الإيقاع الروائي .
يستمد هذا الإيقاع عناصره الاساسية من الاصرار
على **الدلالة** . لكن الدلالة هنا ليست مباشرة او
مسطحة . انها دلالة سياسية — ثقافية ، تنطلق
من المباشر الى العام ، وتبعد عن الوعظية ،